تحت المظلة

مجموعة قصص لنجيب محفوظ

***

« تحت المظلة » هوالكتاب الرابع والعشرون للاديب المصري المعروف الاستاذ نجيب محفوظ . وقد صدر مؤخرا عن دار مصر للطباعة ونشرته « مكتبة مصر » .

والكتاب مجموعة اقاصيص ومسرحيات بفصل واحد . أما الاقاصيص فست ، وهي مكتوبة في الفترة الواقعة بين اكتوبر وديسمبر من عام ١٩٦٧ . وأما المسرحيات فخمس ، ولم يات المؤلف على ذكر تاريخها . والمسرحيات والاقاصيص من النوع الحديث لا بل المستحدث الذي لم يألفه قراء نجيب محفوظ وبخاصة في مجموعاته القصصية الكلاسيكية الثلاث « : همس الجنون » و« دنيا الله » و« بيت سيىء السمعة » . فالكاتب المعروف ببراعته والمامه الوثيق بالآداب العالمية قديمها وحديثها يتفنن في مؤلفه الجديد « تحت المظلة » مجاراة آداب العصر ،فنا وأسلوبا وفحوى . هذا المنحى الجديد عند أديبنا الكبير لمسناه في السنوات العشر الاخيرة ، أي أثر صدور روايته « اللص والكلاب » عام ١٩٦١ مرورا بسائر رواياته التي جاءت بعدها.

وأذا استثنينا « ثلاثة أيام في اليمن » الاقصوصة السادسةحسب ترتيبها في الكتاب التي هي أقرب الى المذكرات والريبورتاج منها الى القصة القصيرة ، فالقصص الخمس الاخرى تكاد تقوم على عنصر اللامعقول ، والهروب من الوضع الانساني ، بممارسة الحب ومعاقرة الجوزة والخروج على النظام والقانون والعرف . ففي قصة « الظلام » ينشد البطل هروبه في الجوزة والظلام وسوء السمعة .

أما بطله الثاني في قصته « الوجه الاخر » فانه يرى في«العقل والاتزان والنظام والاجتهاد والادب ، رمزا للموت : أما رمضان فكنت أهرع أليه ليروي ظمأي المكبوت الى الانطلاق والاسطورة والغابة » و« دنيا الجنس والتحدي » كما يقول في مكان آخر . وتختم القصة بقوله « ومضيت بعزم نحو الفتاة العارية واسدلت الستار ورائي » .

وقصة « تحت المظلة » التي عنون بها الكتاب خير مثال على هذا اللامعقول واللامنطقي . ففي هذه القصة تتسلسل الاحداث وينبثق الاشخاص من هنا وهناك كما في حلم آتيه « من اماكن مختلفة، متباعدة ومتقاربة ، لا يدري معه أحد عن الاخر شيئا على حد قول المؤلف في قصة « الظلام » فهذي جماعة تطارد لصا وتمسك به وتشبعه ضربا ثم ينقلب اللص الى خطيب في الجماعة .. وتقبل سيارتان تتطاردان فتتصادمان وتحترقان ويخلع اللص ملابسهويرمي بها فوق حطامهما ويبدأ بالرقص عاريا تحت المطر .. يخرج رجل وامرأة من بنايتين متقابلتين حتى اذا بلغا السيارتين المهشمتين خلعا ملابسهما ومارسا الحب فوق جثة قتيل الامر الذي دعا الى التساؤل « ان يكن تصويرا سينمائيا فهو فضيحة ، وان يكن حقيقة فهو جنون » ثم تجيء من الجنوب جماعة من البدو تليها اخرى من الخواجات ويتفرقون دون ان يأبهوا للمشهد . يأتي بعدهم عمال بناء فيشيدون قبرا يغيبون فيه ضحايا السيارتين والعاشقين وهما لا يكفان عن ممارسة الحب . فوق القبر يتربع رجل قضاء « لم ير أحد من أين أتى » وينشىء بتلاوة نص منتشب على أثره معارك بين بدو وخواجات ويكون رقص وغناء بين آخرين ويمارس كثيرون الحب عرايا حول القبر . ثم يندس بين الواقفين رجل ضخم يظنونه المخرج، واذا برأس آدمي مقطوع يتدحرج نحو المحطة فيقول الرجل الضخم: برافوا :. ثم يوجه منظاره نحو رجل وامرأة يمارسان الحب فيهتف :« غيرا الوضع . حذار من الملل » ، غير انه حين يقبل رجال رسميون ، يولي الادبار فيندفع خلفه متجول فيتبعه الاخرون كعاصفة. وسرعان ما يختفون جميعا عن الانظار « مخلفين الطريق للقتل والحب والرقص والمطر ». كل هذا وجماعة تحت المظلة بانتظار الباص تتفرج . ومثلهم يفعل شرطي في مدخل عمارة . غير ان هذا الشرطي يتدخل اخيرا لا ليحسم النزاع كما هو مفروض ولكن ليسدد بندقيته الى الواقفين تحت المظلة ويقتلهم جميعا . وتنتهي القصة .. فاين المعنى في كل هذا !؟ لا تحاول ان تجده ، ألم يقل يونيسكو «يبدو لي العالم في بعض اللحظات خاليا من المعنى ، والحقيقة غير حقيقية»

وأذا عدنا الى المسرحيات في هذا الكتاب وجدنا المؤلف يعقدها من البداية باللبس والغموض وسوء الاستفهام المقصود، وبالمغالطات وغيرها من المفاجآت . ولا تسل بعد ذلك كيف سيكون الحل . ولكن هلا سألت المؤلف كيف تولدت عنده فكرة المسرحية وكيف كان تسلسل احداثها ، وكيف تلاقت الشخصيات وتصارعت وتحاورت ؟ هو نفسه لن يستطيع ان يعطيك الجواب . بلى . ربما يقول لك كما تقول شخصية المؤلف لشخصية المندوب في مسرحية « مشروع للمناقشة » :« شرعت في كتابتها عقب تفكير طويل في المغص » أي نعم. أو كما تقول لشخصية الناقد في المسرحية ذاتها :« انما ابدأ من أنفعال معين ثم أترك الاسترسال لوحي القلم « وبمعنى آخر مثلما بدأت هذه المسرحيات هكذا ستنتهي أيضا ، أي دونما تمهيد وتصميم او تخطيط مسبق ، بلا حبكة ، بلا موضوع ، بلا عقدة ، كما بمحض المصادفة ، وكما الامور في الحياة تجري ، أحيانا .

أجل أنه مسرح اللامسرح او اللاافن كما عرفه عام ١٩٥٠ الشاعر الروماني تريستان تزارا اول من اطلق هذا الاصطلاح الجديد على المسرح الجديد واول من نادى بقطع العلاقة بين التفكير والتعبير. انه مسرح اللامعقول هنا أيضا كما في قصص الكاتب . وهنا وهناك تلعب الظروف والجنس والمرأة بصورة خاصة الدور الاول :«لن تستغني عني أبدا تقول الفتاة للفتى في مسرحية « يميت ويحيي »لن يطيب شيء بعيدا عن ذراعي ».

وفي مسرحيته « النجاة » يسأل الرجل والمرأة « ترى ماذا يحدث في الخارج ؟ فتجيب :« كما يحدث في الداخل جرائم ترتكب باهتمام وجنس يمارس بلا اهتمام » وفي مكان آخر من المسرحية نفسها تقرع المرأة كأسها بكأس الرجل وتقول : « صحة الجنس الذي يمارس وسط العنف والشجار » . وتنتحر هذه المرأة بالسم ظنا منها ان الشرطي دخل للقبض عليها ، فاذا هو مشغول بسواها . فيقول لها الرجل بعد أن تكون قد شبعت موتا :: « لم يجيئوا للقبض عليك ولا للتفتيش . لقد نجوت يا حبيبتي » انه العبث هنا ، العبث الذي يسميه الوجوديون L'adsunde فمن كان يطارد الشرطي ومع من يتبادل الرصاص ؟ وما الذي ساق المرأة الى هذا الرجل وليس لسواه ؟ ثم ممن كان هروبها ؟ ولماذا انتحرت في تلك اللحظة بالذات ؟ أسئلة تظل دونما جواب .

وفي مسرحيتيه « يميت ويحيي » و« التركة » يعرف الكاتب بما أوتي من لباقة وحذق وكيف يغلف بالرمز فكرة سياسية جريئة ونقدا اجتماعيا لاذعا . أما مسرحيته « مشروع للمناقشة » فهي بحث قيم ودراسة موضوعية لا غبار عليها حول أدوار كل من المؤلف والمخرج والممثل والناقد ولكن في قالب مسرحي طريف آخاذ . ان اديبا كنجيب محفوظ وحده يستطيع أنقاذ « مشروع » كهذا ، وتحويله من « المناقشة » العلمية البحتة الى فن خالص ومسرح خالص .

هروب من الوقت والوضع الانساني عن طريق الخمرة والجنس ، من طريق المرأة والخروج على العرف والمألوف هذا هو كتاب « تحت المظلة » . وهذه هي بعض آداب العصر . غير أن هذا ليس بالبدعة

الجديدة وانما هو عود على بدء . . فقديما وجد الخيام متنفسه بصحبة كأس وكتاب وجارية حسناء ، وداوى النواسي نفسه بالتي هي الداء وقبلهما وجد طرفة ابن العبد لذته بتشراب الخمور وبهكنة تحت الخباء المعمد .

توما الخوري

موتى على لائحة الانتظار

ديوان شعر لخالد علي مصطفى

منشورات دار الكلمة ـ النجف الاشرف

* * *

تبدأ رحلة الحروف عند خالد علي مصطفى ، بالتهويم على نبع الذكرى ، ومحاولة رفع الحدث لمستوى فكري ، ووجداني معاش ، وذلك باتخاذها التاريخ ـ الرمز ، بكل ما يحمله من أساطير ، ودلالات ، معبرا تتم من خلاله ، عملية لقاء الانسان بالارض .

مرت عند البحر أوراقي ،حبست الموج من الاصداف ،
وعدت اتبع الفراشة الملونة
تطير نحو سنديانة تريح يومها الاخير ،
وتستحم في بقايا دمعها المثقل بالزعتر والصفصاف .

ولتحديد هوية هذه الرسالة ، يضع الشاعر خالد علي مصطفى ، سفرا رابعا واخيرا من أسفاره الاربعة ، التي احتواها الديوان ، وهذا السفر يحتوي على قصيدتين اثنتين هما : عين غزال واوراق فلسطينية .. وبينما تعتبر الاولى كمحاولة للارتداد الزمني المحدد لفترة عاشها الشاعر في قريته ، تكون الثانية تحديدا لهوية الشاعر

لا تحسبوني دون شارة : :
أذبت النخل في خطاى ،
وسرت ساقيا بها
ملاجىء الرياح في الزيتون

وعملية ابراز الهوية ، هو الحاح وجداني، وفكري ، حيث يرى الشاعر انها السمة الاولى لبعث الشخصية الهائمة على منابع الصدى ! وتحديد لدورها التاريخي والنضالي معا .

أسمع صوت الريح يأتي من اقاصي الشام
يربط بين النخل واليرموك ،
يكتب فوق الرمل بالحوافر العتاق والسهام
رسالة بين يديها تخشع الرايات والملوك

ولم يملك الشاعر الا ان يصرخ فيوجه هذا الزمن ، زمن التيه ، والقلق ، والعذاب .. والتجزئة التي تعيشها الامة العربية ، فيرتد نحو التاريخ ، وهذا الارتداد ما هو الا صورة للضياع اليقيني الذي يفتقد الجيل العربي الحاضر ، فيمثل ارتداده للتاريخ العربي ، رجعة تصفي على المفاهيم والشخصيات قيما جديدة ،في انتظار الانسان ـ البطل .

حادت وفود الريح عن مرماك
لم تبق على أرض البطولات سوى أصداء:
« عقمت النساء ان يلدن مثل خالد »

والملاحظ في شعر خالد علي مصطفى وضوح الرمز ، وارتباطه بروح النص ، بحيث يشكل الرمز قوة لا يستهان بها .. ولكن عملية الايحاء الشعري ، تفقد قيمتها ، وذلك لتدفق الذهنية المجردة ،بحيث حمل النص اكثر مما يتحمل ، ففقدت كلماته تاثيرها على النفس الانسانية ..

والحقيقة اننا لا نعترض على استعمال اسلوب الرمز ، وانما الذي يهمنا هو الا يكون هناك فاصل ،بين التجربة والكلمات ، اذ أن استعمال الرمز ، في حقيقته ، هو لتقوية التجربة واغنائها ، فضلا عن المعنى الذي يرمى اليه .. فرمز (المسيح ، عشتار ، ادونيس) لدى السياب قوى ، ويمنح التجربة ثراء شعريا ،بحيث يلتحم الرمز بالتجربة ، ويفقد دلالته الاولى ، ليصبح عنصرا جديدا من عناصر العمل الشعري ، وليس هذا عند خالد علي مصطفى ..

أما سال ذلا علينا قراقر ؟
عيون الجراد بأمواجه من خناجر
تمر على كل باب ، وترمى عليه

فشورا نرى تحتها اللهمن بلح ماتفي الشام بين الاظافر ،

والذي أراه ان خالد علي مغرم القرام كله ،في استعمال مثل هذه الرموز ، وهو لو استعملها في دلالتها . لاغنى تجربته الشعرية، واكسبها قوة ، وجمالا .

وقد أغرق الشاعر ، في كثرة استعمال التعابير ، ذات الصيغة التجريدية ، حيث تفقد الكلمات ارتباطها وعفويتها بالواقع الانساني ، اذ تغدو مجرد كلمات تهوّم في عالم الفكر المجرد ..

هلم احرق النهر فوق ذؤابة رمحك ، صبّ الخمور
على قدميك وشاحا يغطيهما عن مجيىء
اليك بصوت المآذن في شجى .
أين نجم الصوارى ؟

ثم ان استعمال النعوت بكثرة في شعره ، أفقده بعض خاصته ، وهو بذلك يحول دون وصول الصورة الى القارىء ، اذ ان من الافضل ان ندع المتلقي ، يقوم بنفسه بعملية التصور ، حيث ان الفكر يختزن كل معالم الصورة المراد تقديمها ، فالتخلص من هذه النعوت وتقليلها ، يساعد على انطلاق الفكر والوجدان ، بمتابعة الصورة المراد تخيلها ، فمثلا تعبير (السفن الخزفية) يحد من امكانية التصور ، لانه يضع صورة نهائية للعالم الذي يود تصوّره ،بحيث لا يتخطاه الى عالم آخر .. فعالم السفن الخزفية هو غير عالم السفن الفحمية مثلا .. ولكن التوضيح بالنعوت هنا ، أفقد دلالة الوصف من حيث الايحاء والتذوق .

والارتباط بين القصيدة الواحدة مهزوز ، وغير واضح المعالم ، حيث ان القارىء يلاحق بصور كثيفة ، دون ان يتمكن من الربط بين اجزائها ، وبذلك يضيع عليه الشعر ، ولذلك يبقى الربط العضوي بين الصور مهزوزا .

وكلما سارت بنا الطريق نحو بيتنا العريق
تشمخ في وجوهنا الجبال
تهرأت أقدامنا من الحصى
دون دليل يمسك الطريق

ولكن لا يعني هذا كله ، ان عالم خالد علي مصطفى ، لا يستاهل الدخول ، بل قد يكون العكس هو الصحيح، لان هناك عناصر كثيرة في شعره ، تتخذ من الانسان ـ القضية ، مدارا لها ..

والديوان بعد ، مقسم على أربعة أسفار ، الاول وهو سفر الصحراء والثاني وهو سفر القوس والجرح ، والثالث وهو سفر الاعراف ،ثم السفر الرابع وهو سفر عين غزال ..

وقد اتخذ الشاعر لمجموعته الاولى اسما موحيا هو (موتى على لائحة الانتظار) وهو رمز لانتظار عملية الموت في سبيل القضية ـ الوطن ...

علي حسن